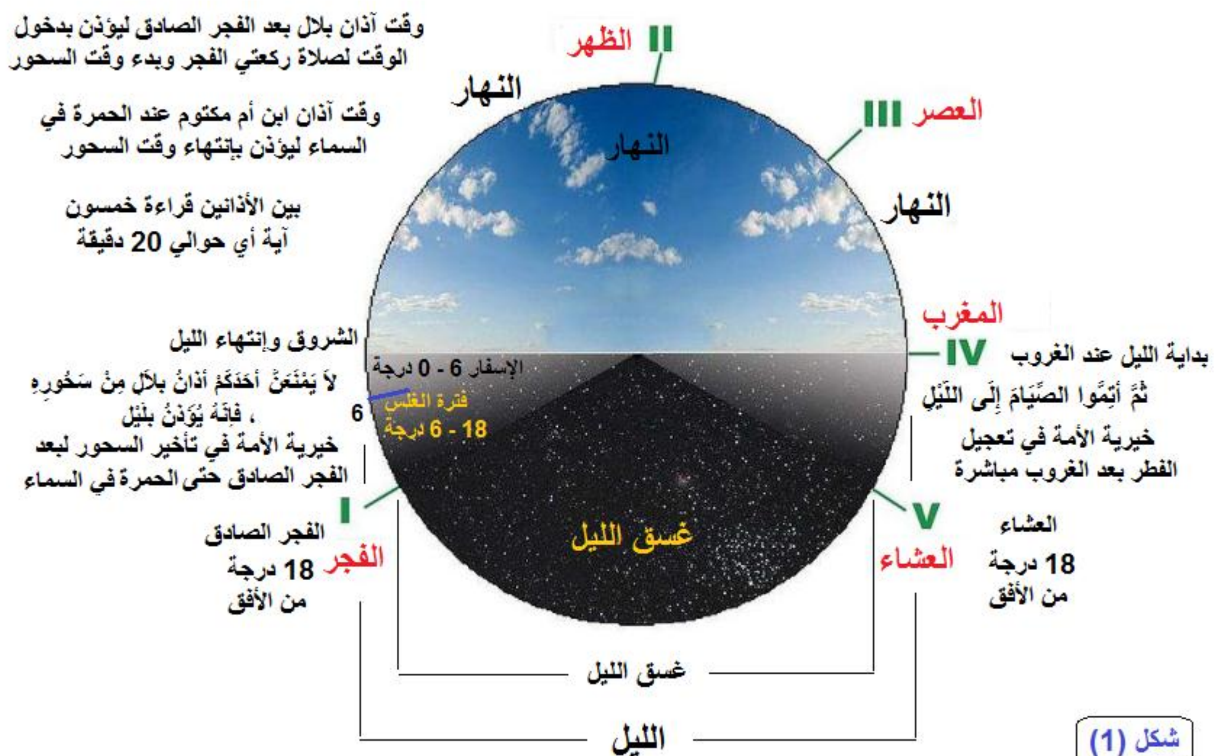
<u>هل كان بلال رضى الله عنه يؤذن قبل الفجر الصادق؟</u>
<u>توقيت صلاة الفجر وتوقيت السحور والإمساك للصيام</u>

حدث في السنوات الأخيرة جدل كبير حول صحة موعد صلاة الفجر وبالتالي وقت الإمساك للصوم. وكان الأمر غير واضح عندي حتى أرسل لي أحد الأصدقاء البحث في الرابط التالي والذي يشرح الإشكاليات حول مواقيت الصلاة فقهيا وفلكيا ثم ينتهي إلى أن المواقيت الحالية في الدول الإسلامية صحيحة وأن هناك إتفاق بين كل الفلكيين في السابق واللاحق أن بداية الفجر الصادق تقريبا عندما تكون الشمس عند درجة 18 درجة تحت الأفق.

http://www.icoproject.org/pdf/Salat_Problems_2010.pdf

وقد قرأت البحث واستفدت منه كثيرا وأتفق مع الباحث في صحة توقيت أذان الفجر الحالي لكني أعتقد أن توقيت بداية صلاة الفجر وموعد الإمساك للصوم شيئين مختلفين ، فموعد الإمساك للصوم ينبغي أن يكون بعد وقت الفجر الصادق وهو المؤقت فلكيا بدقة حاليا. ورؤيتي قد تكون مختلفة بعض الشئ حيث تنبني على أساس أن بلال رضي الله عنه كان يؤذن في وقت الفجر الصادق وليس قبله ثم بعده بفترة يؤذن ابن أم مكتوم رضي الله عنه معلنا الإمساك للصوم. هذه الرؤية يوضحها الشكل (1) وسأحاول شرحها فيما يلي.



1- درجة إنخفاض الشمس عن الأفق عند الفجر الصادق هي نفس الدرجة عند العشاء وهي 18 درجة تحت الأفق.

2- الليل والنهار: عندما تكون الشمس فوق الأفق (من لحظة الشروق) هو النهار وعندما تكون الشمس دون الأفق (من لحظة الغروب) هو الليل.

3- غسق الليل: من العشاء (18 درجة دون الأفق بعد الغروب) حتى الفجر الصادق (18 درجة دون الأفق قبل الشروق) هو غسق الليل أي شدة إظلامه.

4- الغلس: الفترة التي يختلط فيها ضوء النهار بظلام الليل لكن يكون فيها ضوء النهار أقل من ظلام الليل بحيث لا يمكن تمييز العلامات الأرضية إلا بصعوبة وهي فترة تمتد من الدرجة 18 إلى 6 دون الأفق. مدة هذه الفترة حوالي ساعة تبدأ من بعد الفجر الصادق.

5- إنتشار الضوء في السماء: وهي جزء من مرحلة الغلس وتبدأ عندما تكون الشمس عند درجة 12 تحت الأفق أي بعد حوالي نصف ساعة من الفجر الصادق وتزداد تدريجيا حتى ينزل الضوء على الجبال والأرض في مرحلة الإسفار.

6- الإسفار: الفترة التي يختلط فيها ضوء النهار بظلام الليل لكن يكون فيها ضوء النهار أكثر من ظلام الليل بحيث يمكن تمييز العلامات الأرضية وهي فتر تمتد من الدرجة 6 دون الأفق إلى الشروق. مدة هذه الفتر حوالي نصف ساعة قبل الشروق.

7- عند الفجر الصادق الذي يوافق أذان بلال يبدأ وقت صلاة الفجر وصلاة ركعتي السنة.

8- وقت الإمساك للصيام والوقت الأفضل لصلاة الفجر يكون بعد وقت الفجر الصادق حين إنتشار الضوء في السماء وهو يوافق أذان ابن أم مكتوم.

9- سيدنا بلال رضي الله عنه كان يؤذن في وقت الفجر الصادق (عند 18 درجة من الأفق تقريبا) وليس الفجر الكاذب (الذي يكون في غسق الليل) وذلك ليعلن إنتهاء وقت قيام الليل ودخول وقت صلاة الفجر وبدء صلاة ركعتي الفجر (السنة) وبدء وقت السحور.

10- كان ابن أم مكتوم رضي الله عنه يؤذن بعد سيدنا بلال وذلك وقت إنتشار الإحمرار في السماء (لكن لا يزال في وقت الغلس) ليعلن إنتهاء وقت السحور ودخول وقت صلاة الصبح في جماعة. حديث "لَيسَ الفجر المُستَطِيل في الأفُق ولكن المُعترض الأحمر".

11- ورد ما يفهم منه أنه كان بين الأذانين 50 آية وهي تقريبا 20 دقيقة.

"حدثنا عمرو بن عاصم قال حدثنا همام عن قتادة عن أنس بن مالك أن زيد بن ثابت حدثه أنهم تسحروا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم قاموا إلى الصلاة قلت كم بينهما قال قدر خمسين أو ستين يعني آية.
في رواية النسائي وابن حبان ولفظهما عن أنس قال : قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يا أنس إني أريد الصيام ، أطعمني شيئا . فجئته بتمر وإناء فيه ماء ، وذلك بعدما أذن بلال . قال : يا أنس انظر [ص: 66] رجلا يأكل معي ، فدعوت زيد بن ثابت ، فجاء فتسحر معه ، ثم قام فصلى ركعتين ، ثم خرج إلى

الصلاة . فعلى هذا فالمراد بقوله " كم كان بين الأذان والسحور " أي أذان ابن أم مكتوم ، لأن بلالا كان يؤذن قبل الفجر . والآخر يؤذن إذا طلع".

12- وبالتالي أرى أنه علينا الآن أن نعود إلى تأخير السحور لبعد وقت أذان الفجر الحالي (الفجر الصادق) كما كان على عهد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

وأعتقد أن بداية المشكلة حدثت بسوء فهم لفعل الصحابي الجليل مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم سيدنا بلال رضي الله عنه. حيث إعتقد بعض الفقهاء أنه كان يؤذن وقت الفجر الكاذب وقبل الفجر الصادق وهذا لم أجده صراحة في أي حديث كما سأبين:

1- هناك الأحاديث التي تذكر أن الرسول علم سيدنا بلال توقيتات الأذان (بدايته ونهايته) لكل صلاة والمفروض أن يلتزم بها سيدنا بلال.
"حَدَّثَنِي أَبُو يَحْيَى ، ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، أنبا بَدْرُ بْنُ عُثْمَانَ ، وَحَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ ، ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، ثنا بَدْرُ بْنُ عُثْمَانَ ، حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي مُوسَى ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَتَى سَائِلٌ فَسَأَلَهُ عَنْ مَوَاقِيتِ الصَّلاةِ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا ، " **فَأَمَرَ بِلالا فَأَقَامَ الْفَجْرَ حِينَ انْشَقَّ الْفَجْرُ ، وَالنَّاسُ لا يَكَادُ يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا** ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ ، وَالْقَائِلُ يَقُولُ : انْتَصَفَ النَّهَارُ أَوْ لَمْ يَنْتَصِفْ ، وَكَانَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الْمَغْرِبَ حِينَ وَقَعَتِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ ، **ثُمَّ أَخَّرَ الْفَجْرَ مِنَ الْغَدِ حِينَ انْصَرَفَ ، وَالْقَائِلُ يَقُولُ : طَلَعَتِ الشَّمْسُ أَوْ كَادَتْ** ، ثُمَّ أَخَّرَ الظُّهْرَ حَتَّى كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْعَصْرِ ، ثُمَّ أَخَّرَ الْعَصْرَ حِينَ انْصَرَفَ مِنْهَا ، وَالْقَائِلُ يَقُولُ : احْمَرَّتِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ أَخَّرَ الْمَغْرِبَ حَتَّى كَانَ عِنْدَ سُقُوطِ الشَّفَقِ ، ثُمَّ أَخَّرَ الْعِشَاءَ حَتَّى كَانَ عِنْدَ ثُلُثِ اللَّيْلِ ، ثُمَّ أَصْبَحَ فَدَعَا السَّائِلَ فَقَالَ : " الْوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ".

2- حديث "المؤذن مؤتمن" ، وبالطبع سيدنا بلال مؤتمن على صلاة الناس وصيامهم بحيث لا يمكن أن يؤذن وقت الفجر الكاذب ويضللهم! **فلو تخيلنا أن رجلا نوى السفر فصلى السنة والفجر بعد أذان بلال مباشرة ثم سافر فإن كان أذان بلال في وقت الفجر الكاذب فإن صلاة هذا الرجل باطلة.**

3- حديث الرسول "لا يمنعن أحدكم أذان بلال من سحوره ؛ فإنه يؤذن بليل ، ليرجع قائمكم" وفيه أن الرسول لم ينه بلال عن فعله وكذلك لم يقل أنه يؤذن وقت الفجر الكاذب ولم يحذر الناس بأن وقت صلاة الفجر لم يدخل بعد وإنما فقط حذرهم بأن وقت الإمساك لم يبدأ بعد. **والتحذير من الصلاة على آذان بلال أولى من التحذير من الإمساك لإن من أمسك على آذان بلال فصيامه صحيح لكن من صلى على آذان بلال فصلاته باطلة.**

4- حديث الرسول "لا يمنعنكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ، ولكن الفجر المستطير في الأفق" وفيه يحذر الرسول من شيئين مختلفين ، الأول أذان بلال والثاني الفجر الكاذب وإلا لقال مثلا " لا يمنعنكم من سحوركم أذان بلال في الفجر المستطيل" مما يؤكد أن وقت آذان بلال ليس هو وقت الفجر الكاذب. وفي الحديث ثلاثة مواقيت مختلفة ، الأول وقت أذان بلال (الفجر الصادق) والثاني وقت الفجر الكاذب والثالث وقت إنتشار الضوء في الأفق (وقت أذان ابن أم مكتوم بعد الفجر الصادق وانتشار الضوء في السماء).

5- ولنتأمل قليلا ، فسيدنا بلال أمامه ثلاثة علامات لثلاثة توقيتات مختلفة. الفجر الكاذب ثم الفجر الصادق ثم إنتشار الضوء في السماء. الفرق بين أذان بلال وأذان ابن أم مكتوم (عند إنتشار الضوء) كما ورد عن الصحابة (خمسين آية) وهو أقل بكثير من الفرق بين الفجر الكاذب والصادق والذي يكون أكثر من 45 دقيقة عادة ويختلف على مدار العام. فإذا كان بلال يريد أن يؤذن قبل الفجر الصادق بفترة وجيزة فعليه أن ينتظر حتى يرى الفجر الكاذب ثم يجلس يسبح عددا معينا من التسبيحات مثلا بحيث لا يصل لوقت الفجر الصادق ثم يؤذن. لكن كيف يضبط هذا العدد والتوقيت متغير على مدار العام؟ **إذا فالأذان قبل الفجر الصداق بفترة أمر لا يمكن ضبطه بالإمكانيات المتاحة لسيدنا بلال وقتها والأولى والأسهل أن يتحرى أول ظهور الفجر الصادق ويؤذن عنده.**

6- عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالَتْ: (كان رسولُ الله صلى الله عليه و سلم **إِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ بِالأُولَى مِن صلاةِ الْفَجْرِ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ قَبْلَ صلاةِ الْفَجْرِ بَعْدَ أَنْ يَسْتَبِينَ الْفَجْرُ** ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ حَتَّى يَأْتِيهِ الْمُؤَذِّنُ **لِلإِقَامَةِ**). ويفهم من قولها "إذا سكت المؤذن بالأولى" أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصلي سنة الفجر بعد الأذان الأول **مما يدل أن بلال كان يؤذن الأذان الأول بعد دخول وقت الفجر الصادق** فيتبين الرسول دخول الفجر بدون إنتظار للأذان الثاني فيصلي سنة الفجر ثم يضطجع إذا لم يكن هناك سحور للصيام حتى يأتيه مؤذنه بلال مرة أخرى ليؤذنه بالإقامة كما في الحديث "كَانَ بِلالٌ إِذَا فَرَغَ مِنَ الأَذَانِ فَأَرَادَ أَنْ يُعْلِمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَدْ أَذَّنَ وَقَفَ عَلَى الْبَابِ وَقَالَ : " حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلاحِ ، الصَّلاةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ " ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ : فَإِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَآهُ بِلالٌ ابْتَدَأَ فِي الإِقَامَةِ". لكن هنا سؤال ، لماذا يتبين الرسول الفجر إذا كان بلال يؤذن بالفعل عند الفجر الصادق؟ والجواب لإن **تحري الفجر الصادق أمرا صعبا يخبرك عنه الراصدون وبلال بشر قد يخطئ فيتقدم أو يتأخر قليلا ومن هنا جاء تبين الرسول.** أيضا ذهب بعض العلماء أن الأذان الأول مقصود به الأذان الثاني وليس أذان بلال لكن **أفصحت السيدة عائشة عن مقصدها عندما ذكرت لفظة "للإقامة"** في الحديث وبالتالي يمكننا تصور أن ما كان في ذهنها حينئذ هو **أذان أول وأذان ثاني وإقامة.**

7- الآية الكريمة وفيها "ثم أتموا الصيام إلى **الليل**" هي تشير لنفس الليل في قول الرسول "فإن بلال يؤذن **بليل**" كما علمه الرسول في الحديث الذي ذكرناه سابقا أي "حين انشق الفجر والناس لا يكاد يعرف بعضهم بعضا". فالليل في الآية الكريمة (بعد غياب الشمس) هو الليل المقصود في الحديث الشريف (قبل طلوع الشمس) أو أول ظهور الفجر الصادق وليس معناه الليل قبل الفجر الصادق الذي هو غسق الليل وشدت إظلامه. وبالتالي هذا الحديث لا يدل أن بلال كان يؤذن قبل الفجر الصادق وإنما يدل أنه كان يؤذن في أول وقت الفجر الصادق كما علمه الرسول من قبل.

8- فعل الأمة الإسلامية من **تعجيل الإفطار عند بداية الليل بعد غروب الشمس مباشرة** على الرغم من قول الله عز وجل "ثم أتموا الصيام إلى **الليل**" حيث أن المغرب هي بداية الليل بينما العشاء هي غسق الليل وهو غير مراد في الآية الكريمة. **والمفروض أن يحدث نفس الأمر بالنسبة لتأخير الإمساك لبعد دخول الفجر الصادق (المقابل للعشاء عند نفس الدرجة 18 من الأفق)** لإن الآية كما وضعت مجال الإفطار هو الليل فتم التعجيل لأول الليل بمجرد غروب الشمس فكذلك الآية وضعت مجال الإمساك هو الخيط الأبيض من الخيط الأسود وهذا أوله ظهور خيط لضوء بسيط عند الفجر الصادق (أذان بلال) ثم يزيد تدريجيا في السماء حتى ينتشر عند أذان ابن أم مكتوم **فمن أمسك عند الفجر الصادق فهو لم يتأخر في السحور والإمساك وإنما تعجل في أول مجال الوقت.** وهذا يذكرنا

بحديث خيرية الأمة ما داموا يتعجلون الإفطار ويؤخرون السحور وواضح طبعا أن الأمة ليست في أفضل حالاتها اليوم حيث تحققت فيها العلامة من عدم تأخير السحور.

9- قول الله عز وجل "وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ" حيث تتحدث الآية عن قياس لمجال نهاية توقيت الأكل والشرب وهو تحري الخيط الأبيض من الخيط الأسود من (بداية) الفجر (الصادق). وهذا الخيط سيبدأ رفيعا عند الفجر الصادق ثم يزداد تدريجيا لتعطي الآية مجالا (رخصة) يختلف بإختلاف قدرات الراصد. **وإذا فليس الفجر الصادق بالتحديد هو المقصود كوقت للإمساك عن الطعام وإلا لقال وكلوا واشربوا حتى الفجر أو حتى يتبين لكم الفجر**.

10- فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال كثير من الصحابة وأفعالهم التي تدل أنهم أكلوا وشربوا بعد دخول الفجر الصادق وإنتشار الضوء في السماء.

"حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ زِرٍّ ، عَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ : " كَانَ بِلَالٌ يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَتَسَحَّرُ ، وَإِنِّي لَأُبصِرُ مَوَاقِعَ نَبلِي ، قُلْتُ : أَبعْدَ الصُّبحِ ؟ قَالَ : بعْدَ الصُّبحِ ، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَطْلُعْ الشَّمْسُ "
"حدثنا علي بن محمد حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن حذيفة قال تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع".
"وعن حبان بن الحارث قال : تسحرنا مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلما فرغنا من السحور أمر المؤذن فأقام الصلاة"
"عن سالم بن عبيد الله قال { كنت في حِجر أبي بكرٍ الصِّديق ، فصلى ذات ليلة ما شاء الله ثم قال : اخرج فانظر هل طلع الفجر ؟ قال : فخرجت ثم رجعت فقلت : قد ارتفع في السماء أبيضُ ، فصلى ما شاء الله ثم قال : اخرج فانظر هل طلع الفجر ؟ فخرجت ثم رجعت فقلت : لقد اعترض في السماء أحمرُ ، فقال : هَيْتَ الآن ، فأبْلِغني سَحوري{ "
"وقال ابن شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم قال لم يكونوا يعدون الفجر فجركم إنما كانوا يعدون الفجر الذي يملأ البيوت والطرق"
"وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن علي رضي الله عنه أنه صلى الصبح ثم قال الآن حين يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود".

والرابط التالي فيه أحاديث ومواقف أكثر:
http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?25099-%DD%ED-%C8%ED%C7%E4-%E6%DE%CA-%C7%E1%D3%CD%E6%D1-%E6%CD%CF%E5

وإذا فخلاصة ما سبق:
1- سيدنا بلال معلم من الرسول مؤتمن لا يمكن أن يؤذن قبل الفجر الصادق.
2- ليس هناك حديث ينكر على بلال أذانه في الفجر ولا حديث يدل أن سيدنا بلال كان يؤذن في الفجر الكاذب.
3- لو كان بلال يؤذن قبل الفجر لكان التحذير من الصلاة عند أذانه أولى من التحذير من الإمساك عنده.

4- الوقت بين الفجر الكاذب والفجر الصادق أكبر بكثير من الوقت بين أذان بلال وأذان ابن أم مكتوم.
5- صعوبة ضبط بلال لتوقيت أذانه بحيث يسبق الفجر الصادق بوقت قليل بدون علامة طبيعية يتحراها وبالتالي الأولى له أن يتحرى أول ظهور الفجر الصداق ويؤذن عنده.
6- صلاة الرسول لركعتي سنة الفجر بعد أذان بلال وتبينه من دخول وقت الفجر الصادق وعدم إنتظاره لأذان ابن أم مكتوم.
7- ما فوق الأفق (من لحظة الشروق) هو النهار وما دونه (من لحظة الغروب) هو الليل.
8- من العشاء (18 درجة دون الأفق بعد الغروب) حتى الفجر الصادق (18 درجة دون الأفق قبل الشروق) هو غسق الليل أي شدة إظلامه.
9- علامة الإمساك والتي حض الرسول على تأخيرها (الخيط الأبيض من الخيط الأسود) يبدأ تحريها من بعد الفجر الصادق وكلما تأخرت حتى تزيد كثافة خيط الضوء بالنسبة لليل كان أفضل حتى علامة إنتشار الضوء في السماء بعد نصف ساعة تقريبا من الفجر الصادق وهو وقت أذان ابن أم مكتوم. وقت ظهور هذه العلامة سيتغير من شخص لآخر وحسب وضوح الرؤية في السماء لكن يمكن ضبط هذا الوقت فلكيا على مدار العام أو إعتماد مدة الخمسين أو الستين آية والتي تعادل تقريبا 20 دقيقة (مقاسة من متوسط قراءات المنشاوي والحصري والعفاسي لأول 50 آية من سورة الكهف).
10- فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال كثير من الصحابة وأفعالهم تدل أنهم أكلوا وشربوا بعد دخول الفجر الصادق وإنتشار الضوء في السماء.

وفي النهاية أرجو أن تتم قراءة ما سبق بعناية والتفكر فيه ثم التكرم بإبداء ما فيه من خطأ أو صواب (بدون التأثر بمخالفة ما جاء فيه لبعض من علمائنا الأفاضل) لعل الله أن يهدينا للحق في هذه المسألة.